عَوْدَةُ السَّلاَمِ

غَرِدِي يَاحَمَائِمَ السِّلْمِ فِي دِجْلَةَ وَاحْكِي لِلْعُرْبِ عَنْ أيَّامِي
يَوْمَ هَبَّ العِرَاقُ يَسْتَبْعِدُ البَغْيَ وَيَحْمِي الحِمَى وَرَا صَدَّامِ
وَاسْتَحَالَ الخَلِيجُ بُرْكَانَ نَارٍ وَحُقُولاً لِزَارِعِي الأَلْغَامِ
وَتَعَالَى فِرْعَوْنُ إيرَانَ فِي الأَرْضِ إلَهاً وَاشْتَاقَ لِلأَجْرَامِ
أعلِنِي يَاحَمَائِمَ السِّلْمِ لِلشَّرْقِ المَعَنَّى نِهَايَةَ الآلاَمِ
بَعْدَ لَيْلٍ مِنَ المَآسِي وَأعْوَامٍ عِجَافٍ وَمُوجِعَاتٍ جِسَامِ
ذَكَّرَتْنَا حَرْبَ السَبُوسِ وَلَكِن لَيْسَ فِيهَا مُجَنْدَلٌ بِحُسَامِ
يَزْحَفُ المَوْتُ فِي مَلاَحِمِهَا السُّود سُيُولاً مِنَ الجَحِيمِ الطَّامِي
تَتَهَاوَى مِنَ السَّمَاءِ وَأحْيَاناً إلَيْهَا تَرْقَى شَيَاطِينُ سَامِ !
وَشَظَايَا الأجْسَامِ فِيهَا كَأوْرَاقِ خَرِيفٍ تُدَاسُ بِالأقْدَامِ
وَضَحَايَا جَحِيمِهَا لَيْسَ تُحْصَى مِثْلَ حَرْبِ البَسُوسِ بِالأرْقَامِ
لَوْ أُقِيمَتْ صَوَامِعاً وَهِيَ فِي بَغْدَادَ لاَحَتْ فِي مِصْرَ كَالأهْرَامِ !
رُبَّ لَيْلٍ قَدْ حَوَّلَتْهُ نَهَاراً وَنَهَاراً لَفَّتْهُ بِالإظْلاَمِ
وَقُصُور قَدْ دَمَّرْتَهَا فَأضْحَى سَاكِنُوهَا عَشَائِراً فِي الخِيَامِ
وَوَلِيدٍ مُدَلَّلٍ أفْقَدَتْهُ أبَوَيْهِ أضْحَى مِنَ الأيْتَامِ
وَنِسَاءٍ حَوَامِلٍ أجْهَضَتْهَا غَارَةٌ أجْهَزَتْ عَلَى الأرْحَامِ
وَصَبَايَا قَدْ شَوَّهَتْهَا شَظَايَا وَشُيُوخٍ تَئِنُّ تَحْتَ رُكَامِ
وَشَبَابٍ قَدْ جُنِّدُوا لِقِتَالٍ حَارَبُوا اللّهَ فِيهِ كَالأغْنَامِ !

وَبَنُونَا فِي القُدْسِ يَحْصِدُهَا المَوْتُ زُهُوراً مَكْمُومَةَ الأكْمَامِ
يَتَحَدّى صَغِيرُهَا المَوْتَ عِمْلاَقاً أمَامَ القَرَاصِنِ الأقْزَامِ
يَالِلحَرب مَوْتُورَةٍ زَوَّدَتهَا بوُقُودِ الدَّمَارِ أيْدِي الكِرَامِ !
لَمْ يَضِنُّوا عَلَى تَأجُّجِهَا يَوْماً وَلاَ أمْسَكُوا مِنَ الإعْدَامِ !
تُرْسِلُ المَوْتَ فِي صَوَارِيخَ تَسْرِي فِي ثَوَانٍ مَسِيرَةَ الأيَامِ
كَمْ تَدَاعَت بِهَا مَعَالِمُ وَانْهَارَتْ قُصُورٌ فَأصْبَحَتْ كَالْحُطَامِ

* ● *

عَجَباً كَيْفَ يَقْتُلُ المَوْتُ شَعْباً هَكَذَا وَهْوَ صَامِدٌ فِي ابْتِسَامِ !!
يَتَلَقَّى أعْدَاءَهُ بِصُخُور لاَبِجَيشٍ مُصَاوِلٍ مِقْدَامِ !
أَلِفَ النَّصْرَ فِي مَلاَحِمِهِ الكُبْرَى وَأحَيَا مَفَاخِرَ الإسْلاَمِ
لَكَأنِّي بِابْنِ الوَلِيدِ أمَامَ الجَيْشِ يُزْجِي الصُّفُوفَ يَوْمَ التِحَامِ
هَاهُنَا فِي العِرَاقِ كَانَ لَهُ نَصْرٌ وَلِلْمُشْرِكِينَ شَرُّ انهِزَامِ
كَمْ تَعَالَتْ صَيْحَاتُنَا وَتَوَالَتْ وَدَعَا لِلسَّلاَمِ رُسْلُ السَّلاَمِ !
غَيْرَ أنَّ الأيْدِي الخَفِيَّة كَانَتْ مِنْ وَرَاء تَزِيدُ فِي الإيلاَمِ
تَتَمَلَّىٰ بِالنَّارِ تَلْتَهِمُ الشّرْقَ وَتَمْتَصُّ مِن أسَاهُ الدَّامِي
وَالمَآسِي فِي الشّرْقِ لِلْغَرْبِ أعْرَاسٌ وَحُلْمٌ مِنْ أجْمَلِ الأحْلاَمِ !
يَشْتَهِي أنْ يَرَى صُرُوحَهُ تَهْوِي فِي حُرُوبٍ بَالمعْوَلِ الهَدَّامِ
غَيْرَ أنَّ القُلُوبَ عَادَ إلَيْهَا الصَّفْوُ بَعْدَ الغُيُومِ وَالاعْتَامِ
وَتَغَنَّت بَلاَبِلُ السِلْمِ فِي دِجْلَةَ جَذْلَى بَأعْذَبِ الأنْغَامِ
إنَّ يَوْماً يَعُودُ فِيهِ إلَى الشَّرْقِ هَنَاهُ مِن أسْعَدِ الأيَّامِ !